- **المحاضرة ٢**

- **مشكلة الخلق وافتراض الوسطاء:**

تتشابه نظرية الخلق عند فيلون بنظيرتها عند أفلاطون وأن كان يشوبها أحيانا طابعا رواقيا، ففيلون قد استخدم لغة رواقية حينما عبر عن علاقة الإله الصانع بالعالم وتكوينه له فقد قال بأن الصانع في سبيل تكوينه للعالم يستعمل كل عنصر من العناصر الأربعة على التمام وهذه صيغة نقلها فيلون عن أفلاطون لكنه يعبر عنها باصطلاحات رواقية حينما يرى أن الصانع قد نظم المادة في مجموعها ككل[١] أن كبار الشراح لنصوص فيلون يرون أنه قد استخدم تعبيرات لا يمكن أن تفهم إلا بغرض أنه يؤمن بالخلق من عدم مثل قوله : إن الإله لم يخرج الأشياء من الظلمات إلى النور فقط، ولكن ما كان منها غير موجود سابقا قد خلقه أيضا إنه لهذا ليس صانعا فقط بل خالقا أيضا[٢].

ولقد أوضح فيلون أن خلق العالم عمل إرادي و ليس عملا اضطراريا، فالله قد خلق العالم بطيبته وفضله وأنه يستطيع عمل الأضداد و لكنه أراد ما هو خير وأن خير الموجودات فقط هي التي يمكن أن توجد عن الله مباشرة و عن الكائن الآخر الذي يعتبر وسيطا له أما الكائنات الاخرى فلا تكون عن الإله مباشرة ولكن عن كائنات متوسطة أدنى منه أي وجود وسطاء بينه و بين العالم[٣].

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نفهم وظيفة اللوغوس فهو الوسيط الذي كان وجوده ضروريا ليساعد الله في خلق العالم. فقد خلق الله العالم المعقول من دعم لأن الأرواح خلو من المادة و قد جاءت عن الله كما يلد العقل أفكاره أما كل ما هو مادي محسوس فلا يمكن أن يكون الله صانعه بصورة مباشرة. وهنا يكون دور الوسيط، فالعالم المحسوس نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة. إذ يرى فيلون أن الله حينما قال: "لنصنعن الإنسان على صورتنا ومثالنا" خاطب وسطاء ووكل إليهم صنع الجزء الفاني من نفسنا على النحو الذي صنع هو به الجزء الروحي لان الإنسان مزاج من خير وشر وبما أن الله منزه عن الشر فكان لابد أن يكون من يصنع مبدأ الشر في الإنسان أي جسمه كائن غير الله[٤].

كما أن الوسطاء عند فيلون طبقات كثيرة أولها اللوغوس نفسه أي كلمة الله او ابن الله نموذج العالم وعلى مثاله يخلقه ثم الحكمة الإلهية و يليها رجل الله أو الإنسان الإلهي أو آدم

---

[١] المرجع نفسه، ص ٦٤.

[٢] مصطفى النشار: مدرسة الاسكندرية ص ٦٥.

[٣] ماهر عبد القادر، عباس حربي: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص: ٥٨.

[٤] مصطفى النشار: مدرسة الاسكندرية، ص ٦٧.

الأول و في المرتبة الرابعة نجد الملائكة وهي كائنات روحية يليها النفس الإلهية و هي تختلف عن النفس الانسانية هذه الأخيرة لا تدرك الله ولا تتحد به دون معونة النفس الإلهية، وفي المرتبة الأخيرة نجد ما أسماه فيلون القوى الإلهية وهي اشارة إلى كائنات كثيرة من ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ أوامر الله[٥] .

ويصف فيلون الكلمة (اللوغوس) بأنها القوة السائدة في الكون وبأنها حالة في كل مكان وبأنها باطنة في الموجودات وبأنها كقوة الحياة المتطورة في الموجودات باطنة في الكون، القوة التي تربط بين الموجودات المنفصلة[٦].

- موسى بن ميمون(maimonide):

- حياته و مؤلفاته:

ولد الميموني في قرطبة سنة ١١٣٥ م وتوفي بالقاهرة في ١٢٠٤م، ثقافته الموسوعية وضميره الأخلاقي وحياته الاجتماعية شكلت هذا الفيلسوف وهذا الطبيب والعالم كأحد أعظم حكماء الإنسانية.[٧]

يعد إذن أعظم فلاسفة اليهود في دائرة الثقافة الإسلامية وفي القرون الوسطى في أوروبا ويعرفه العرب باسم أبي عمران عبيد الله ويعرفه اللاتين باسم الميموني moimonide كان عالما بسنن اليهود ويعد من أحبارهم وفضلائهم وكان رئيسا عليهم في الديار المصرية.[٨]

ويطلق عليه أحيانا موسى المصري خاصة في كتابات أوروبا المسيحية وكان توما الاكويني ممن يتمسكون بهذا الاسم وكان أبوه موسى بن يوسف سليل أسرة عريقة من عملاء الدين كان عالما تلموذيا كما كان رياضيا وفلكيا. ولقد درس ابن ميمون في طليطلة في فترة الشباب الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلكية والطب والمنطق والاخلاق والميتافيزيقا [٩].

وبعد حياة حافلة توفي عن سبعين عاما في ١٣ ديسمبر ١٢٠٤م واستمر الحداد الرسمي عليه لمدة ثلاثة أيام لدى اليهود القسطاط بل ولدى المسلمين أيضا وقد حملت جثته إلى طبرية بفلسطين حيث دفن في قبور العظماء اسرائيل[١٠].

- مؤلفاته:

---

[٥] المرجع نفسه، ص ٦٧

[٦] عبد الرحمان بدوي: خريف الفكر اليوناني، ط٥، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٧٩، ص ٩٩.

[7] Brice parain : Histoire de la philosophie, orient – antiquité moyen age, P 1028 .

[٨] عبد المنعم الحنفي: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، ص ٤٠.

[9] Lévy louis germain : maimonide, fetix Alcan paris, 1911, P 8.

[١٠] إسرائيل ولفنسون: ترجمة مصطفى عبد الرزاق، موسى بن ميمون، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٥.

يمكن تقسيم مؤلفات ابن ميمون إلى ثلاثة أقسام القسم الأول خاص بالشريعة اليهودية ثم مؤلفاته الفلسفية وأخيرا مؤلفاته الطبية. "مقالة في صناعة المنطق" "السراج" "مشنة توره أو تثنية التوراة" "مقالة عن البعث" "دلالة الحائرين"١١. " دلالة الحائرين بالعبرية" MORéH NéBOUKHIM

ويعد من أهم كتبه الفلسفية التي كتبه بالعربية وبالحروف العبرية وقد ترجم إلى العبرية واللاتينية والفرنسية، ويقصد من خلاله إلقاء أنوار الفلسفة والمنطق على الإيمان أي التوفيق بين عقيدة موسى وفلسفة أرسطو١٢ و بالتأويل أعاد الطمأنينة للمحتارين المترددين١٣.

وقد وضع هذا الكتاب بحروف عبرية رغبة منه في أن ينتشر بين جماهير اليهود لا غير لأنه خشي أن يثير بعض ما جاء فيه من المعارضة للمتكلمين والمعتزلة والأشعرية فتنة عليه١٤.

- **الفلسفة والدين:**

يوجه موسى بن ميمون تأليفه اللاهوتي (الدلالة) بالدقة إلى حل التناقض الظاهر بين الفلسفة والدين، وأن يستخدم كدليل لأولئك الذين استطاع هذا التناقض أن يشككهم إما في أحدهما او الآخر ولكن في الحقيقة أن العقيدة الموسوية وحكمة اليونان ليستا خصمين لا يمكن التوفيق بينهما، إذ أنهما في جوهرهما متشابهان بل أكثر من ذلك أن الفلسفة هي الوسيلة الوحيدة لاستيعاب محتوى الدين فالإيمان صورة من المعرفة وموضوعات الإيمان لا يمكن إدراكها مباشرة إلا بواسطة العلم الفلسفي الذي تكون درجاته هي درجات اليقين الديني١٥.

لقد حاول الميموني التوفيق بين الفلسفة والدين لغرض الدفاع عن الدين معتمدا على حقيقة يقينية و مبدأ لا يتزعزع إيمانه به أبدا ألا و هو أن الحق دائما هو الدين و أن درجة يقين الحقيقة الدينية تفوق بالطبع تلك التي تخص الحقيقة الفلسفية العقلية١٦. وكان الهدف الأسمى الذي يرمي إليه هو ان يسلط أنوار الفلسفة والمنطق والعقل على الإيمان١٧.

---

[١١] موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (دط)، (دس)، صص ٢٦-٢٨.

[١٢] زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٤.

[١٣] زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص ١٩٠ .

[١٤] إسرائل ولفنسون: موسى بن ميمون، ص ١٣٧.

[١٥] علي سامي النشار، عباس أحمد الشربيني: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية، ص: ٢٠٦.

[١٦] زينب محمود الخضيري، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص: ١٨٧.

[١٧] المرجع نفسه، ص ١٨٧.

لقد وضع ابن ميمون حدودا للاتفاق بين أرسطو والكتاب المقدس، ففصل اللاهوت عن الفلسفة من حيث المبدأ لكنهما متشابكان رغم خصوصية التجربة الفلسفية، إذ أنهما صادران من نفس الجذور، متجهان نحو نفس القمة، وفي هذه الخطوة المشتركة فإن الفلسفة تلعب دور الطريق الذي يسير عليه الإنسان بتوجيه من الكتاب. وفي هذه الصلة الوثيقة يكون الهدف فلسفي لكن بوسيلة من الكتاب١٨.

ولا يهدف ابن ميمون من توفيقه بين الفلسفة والدين إلى صياغة نظرية فلسفية بل إلى توضيح ما يبدو غامضا في الشرع أي ما يبدو متعارضا مع العقل وذلك ببيان أن هذا التعارض تعارض ظاهري فحسب يقول :" أعلم أي لم أهدف في هذا الكتاب إلى تأليف كتاب عن الطبيعة ولا عن الميتافيزيقا... لقد انصب اهتمامي الوحيد على ما يمكن ان يوضح بعض مواضع الغموض في الشرع".١٩

فالفلسفة في نظره تقدم براهين على حقائق عقلية سبق أن عرفناها من العقيدة وهي تقوم بتأكيد حقائق الكتاب المقدس بواسطة التأمل النظري، ووسيلته في ذلك مثل ابن رشد تماما هي التأويل. لقد درس ابن ميمون قضايا الدين لتفسيرها وتوضيحها وكان إذا رأى تعارضا بين حقيقة دينية ونتيجة فلسفية ورأى أن النص الديني من النوع الذي له معنى ظاهري (المعنى الظاهري من نصيب العامة والتأويل مقصور على الخاصة) وآخر باطني تأوله بما يتفق والحقيقة الفلسفية ولكنه كان يناقش رأي الفلاسفة الذي يحتمل الصدق والكذب و بالتالي فهو في مرتبة أدنى من حيث درجة اليقين من الحقيقة الدينية وإذا كان قد ذهب مثل ابن رشد إلى أن الحقيقة واحدة إلا أنه اختلف معه في نوعية هذه الحقيقة فتلك عنده هي الدينية لا الفلسفية٢٠.

إذن اقتحم باب المشكلات الدينية وحاول أن يوفق بين الدين والفلسفة أحيانا أو يرجح وجهة الدين على وجهة الفلسفة أحيانا أخرى وكثيرا ما كان يشك في كثير من الآراء المألوفة ويرفضها.٢١

إن ما يميز المنهج الميموني لا يختلف عما يميز منهج فيلون وسعديا الفيومي (٨٨٢–٩٤٢) فمن أجل الحوار بين الفلسفة والدين يجب الحديث بلغة الفلسفة أي استخدام المنهج الرمزي لفهم المصطلح الديني لاستخراج الدلالات الباطنية والمعاني الفلسفية٢٢.

---

[18] Brice parain: P, 1029.

[١٩] زينب محمود خضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص ١٨٩.

[٢٠] زينب محمود خضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص ١٩٠.

[٢١] إبراهيم موسى هنداوي: الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٦٨.

[22] Brice parain : Ibid, P 1029.

وللتأويل عند "موسى بن ميمون" قواعد وشروط في كتابه "دلالة الحائرين". من بينها: أن يكون في الظاهر ما يرشد المتأمل بعقله إلى المعنى الخفي. ثم تأويل النصوص إذا كان معناها الحرفي يُنسب لله صفات المخلوقين التي يستحيل عقلا أن تُنسب له الخ٢٣. ويقول في تأكيده على ضرورة التأويل:" وكذلك ينبغي أن يعلم أيضا من أمر الاستعارات والإغياآت طرف، لأنه قد يأتي ذلك كثيراً في نصوص الكتب النبوية(...) وقد بيّنوا وقالوا: التوراة تتكلم بلغة المبالغة يعني الإغياء "٢٤. ويضيف في حديثه عن تأويل النصوص: " فكيف لا يكون ذلك في هذه الغوامض؟ وأيضا فإني لا أرجح لك تأويلي، بل أفهم تأويله كله ممّا نبهتك. وأفهم تأويلي، والله أعلم بأي التأويلين هو المطابق لما أريد "٢٥.

- **براهين وجود الله:**

اتفق ابن ميمون مع المذهب المشائي فيما يتعلق بهذه المسألة فيرى أن وجود الله يمكن البرهنة عليه حيث يبدأ بإثبات وجود المحرك الأول غير المتحرك، ومن ثم يستخلص أن الوجود الحادث للأشياء يفترض موجودا له وجد ضروري، ومن حيث أنه توجد مخلوقات تحرك وهي متحركة وأخرى متحركة دون أن تتحرك، فإنه ينتج عن ذلك وجود موجود يحرك بدون أن يكون متحركا، ويتقرر أن الأشياء تمر من القوة إلى الفعل، وهذا المرور يفترض مبدأ فاعلا يوجد خارج الأشياء وكما أن التقهقر إلى ما لا نهائي خلف، ينبغي أن يكون هناك مبدأ للفاعلية خلو من كل إمكانية٢٦. فلا يمكن أن يكون هناك سوى موجود واحد ضروري٢٧. يقول ابن ميمون :" إنما الغرض هنا كونه تعالى فاعلا لجزئيات الأفعال الواقعة في العالم كما هو فاعل العالم بأسره فالقول قد تبين في العلم الطبيعي أن هذه الأربعة أنواع من الأسباب ينبغي أن يطلب لكل سبب منها سبب أيضا، فيوجد للشيء المتكون هذه الأربعة أسباب القريبة منه وتوجد لتلك أيضا أسباب و للأسباب أسباب إلى أن ينتهي للأسباب الأولى مثل أن هذا الشيء المعقول و فاعله هو الكذا ولذلك الفاعل فاعل ولا يزال ذلك إلى أن يصل إلى محرك أول هو الفاعل بالحقيقة لهذه المتوسطات كلها٢٨. فنراه في هذا يثبت وجود الله و يبرهن على وحدانيته و يسميه مرة بالسبب الأول كما يسميه الفلاسفة وآخرى يسميه بالفاعل كما يسميه المتكلمون من المسلمين٢٩.

---

[٢٣] زينب محمود الخضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص ١٩٢.

[٢٤] موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ص٤٤٨.

[٢٥] المرجع نفسه، ص ٤٧٤.

[٢٦] علي سامي النشار: الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، ص ٢٠٨.

[٢٧] المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

[٢٨] موسى بن ميمون: دلالة الحائرين، ص ١٧١.

[٢٩] إبراهيم موسى الهنداوي: الأثر العربي في الفكر اليهودي، ص ١٦٢.

- **الصفات:**

تتميز الذات الإلهية بالبساطة المطلقة وكل كثرة منفية عن الله، والصفات التي ننسبها إلى الله لا يمكن أن تكون متميزة عن ذاته لأن اجتماع الذات والصفات تدخل أيضا الكثرة فيه، والتأكيدات الوحيدة الموجبة التي يمكن أن نذكرها بالنسبة لله، تلك التي تشير إلى الفاعليات التي تصدر عنه، فالله لا يمكن أن يعرف إلا لكونه العلة الأسمى للوجود، و باستبعاد كل معرفة موجبة بالله ينبغي تفسير الأقوال التي يتضمنها الكتاب المقدس، و قد فسر ابن ميمون مثل سابقيه هذه الأقوال من ناحية كأنها سلبية مدركة في صورة إثبات ومن ناحية أخرى كأنها تخص لا الكائن ولكن أفعال الله[٣٠]، فالأحكام التي نطلقها على الذات الإلهية هي في الحقيقة سلبية، إذ نعلن ما ليس في الله، فإننا نميزه بدقة متزايدة عن كل ما يوجد خارجا عنه، وننفي كل نقص عن وجوده فعندما نؤكد أنه لا جسماني فإننا نضعه بعيدا عن التلوث الجسماني وحين نقرر أنه غير معلل فإننا نعزله عن مجموع الوجود[٣١].

يقول الميموني:" .... كل ما يوجب جسمانية، لزم ضرورة نفيه عنه، وكذلك كل انفعال ينفى عنه لأن الانفعالات كلها توجب التغيير وأن الفاعل لتلك الانفعالات غير المنفعل، بلا شك، فلو كان تعالى ينفعل بوجه من وجوه الانفعال لكان غيره الفاعل فيه، و المغير له، وكذلك يلزم ضرورة أن ينفى عنه كل عدم وأن لا يكون كما ل ما معدوما منه تارة و موجودا أخرى لأنه إن فرض ذلك كان كمالا بالقوة وكل قوة يقارنها عدم ضرورة، وكل ما يخرج من القوة إلى الفعل فلا بد له من مخرج غيره، موجود بالفعل يخرجه. فلذلك يلزم أن تكون كمالاته كلها موجودة بالفعل، ولا يكون له شيء بالقوة بوجه"[٣٢]. "... فقد تبين لك أن كلما تبرهن لك سلب شيء ما عنه كنت أكمل، وكلما أوجبت له شيئا زائدا كنت مشبها وبعدت عن معرفة حقيقية... فكلما زدت في السلب عنه تعالى قربت من الإدراك"[٣٣]، و يقول أيضا :" معلوم أن الوجود عارض للموجود فلذلك هو معنى زائد على ماهية الموجود، هذا هو الأمر البين الواجب في كل ما لوجوده سبب... وأما ما لا سبب بوجوده وهو الله عزوجل وحده لأن هذا هو معنى قولنا عنه تعالى إنه واجب الوجود فإن وجوده ذاته وحقيقته، وذاته وجوده وليست هي ذات عرض لها أن وجدت فيكون وجودها معنى زائد عليها، إذ هو واجب الوجود دائما لا طارئا عليه، ولا عارضا عرض له. فإذن هو موجود لا بوجود وكذلك حي لا بحياة وقادر لا بقدره وعالم ليس بعلم..."[٣٤].

---

[٣٠] سامي علي النشار: الفكر اليهودي، ص: ٨١٠.

[٣١] المرجع نفسه، ص ٢١١.

[٣٢] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ص: ١٣٢.

[٣٣] المرجع نفسه، ص ص : ١٤٠-١٤١.

[٣٤] المرجع نفسه، ص ١٣٥.